رحلتي مع رسائل النور

الأستاذ احسان قاسم الصالحي المحترم

السلام عليكم أستاذي الفاضل

قرأت ما كتبتَ مرة وعُدت مرة أخرى وروحي تتطلع إلى العودة والاستمتاع بهذا السفر الرائع . فهو ليس كتاب سيرة أو مذكرات أو تاريخ أو شرح أو وصف وإنما هو تدوين لمشاعر المسيرة الطويلة مع الأستاذ النورسي ورسائل النور. وفي هذا السفر عرفت أن مهمة الترجمة لم تكن عملية باردة أو ترجمة حرفيه لنص من لغة إلى لغة أخرى، وإنما هي معاناة ومسرى للروح في ظلال أنوار الرسائل المستمدة من أنوار القرآن الكريم. وعرفت فيها أركانا لهذه الترجمة التي تُعرف باسمك يقف خلفَها رجال صادقون تحركهم النية الرائعة لخدمة الرسائل فقد عرفت الأستاذ سليمان القابلي صاحب الروح الشفافة التي تعرف روحانية النص وانسيابيته والروح التي فيه، وعرفت جهود الأستاذ أديب الدباغ في المراجعة والأستاذ أورخان والأخوة الاخرين الأستاذ صباح و د. عماد الدين خليل و د. محسن (رحم الله من توفى منهم وبارك في عمر من بقي). إنه حشد قدّر الله ويسّره لإخراج هذا العمل الجبار الذي يأسر القارئ ويجعله يتفاعل بروحه ومشاعره وليس بعقله. فأكثر الناس عندما يقرأون الرسائل يشعرون لأول وهلة بأن شيئا غريبا تحتويه هذه الكلمات والشعاعات واللمعات وغيرها من الرسائل. وعندما أقرأ كتابات الأستاذ إحسان أشعر بأن روح الرسائل قد سكنت في داخله، فتأتي كتاباته توظّف السانحات من الومضات لتتوقف عندها ويشرح بمصداقية رائعة انطباعه الأول وما تثيره في نفسه بعض الشواغل، فيعيد قراءة النص بحالة أخرى انفتح أمامه المعنى. والحق أن ما ذكره الأستاذ أديب الدباغ عندما ذكر له الأستاذ احسان بأنه بدأ يعشق المثنوي النوري فقال: (أنت لا تفهمه مالم تعشقه) وهذا يسري على جميع الرسائل. ولا أخفي عليك أستاذي الكريم بأن الكثير الذي تذكر قد حصل معي ومع الكثير ممن يقرأ الرسائل. ففي سبعينيات القرن الماضي عندما كنا نزور د. ادريس الحاج داود رحمه الله في الموصل كان يزوّدنا بأشرطة للشيخ عبدالحميد كشك رحمه الله وبنسخ من الرسائل أذكر منها رساله عن السيرة النبوية ورسالة إشارات الإعجاز في مظان الايجاز وسلوة المرضى والمبتلين. نأخذها ونقرأ منها ثم تعجبنا المفاهيم التي فيها ثم نتركها لأن شغلنا كان مرتبطا بدعوة الإخوان ولم نكن نعلم أن الرسائل من الممكن أن تُعتمد في البرنامج التربوي للجماعة لأن الطريقين مصدرهما واحد وهو الكتاب والسنة. وما ذكرته عن الأخ أحمد رمضان

الذي حمّله الأستاذ النورسي رسالة إلى الإمام الشهيد يؤكد ذلك ولكن الموضوع لم يقدر له أن يتحقق في مشروع واحد. وما زلت آمل أن تتاح فرصة لقاء جديد يثمر ثمرة طيبه في الدعوة إلى الله.

إن ما كتبته استاذي الفاضل كان في الكثير من سياقه في معرض التوضيح والبيان لمن يريد أن يقرأ الرسائل وتساؤلات كانت تعبر عن تساؤلات القارئ الحريص على الوصول إلى الحقيقة ويتجلى ذلك في العقبات التي واجهتك في الترجمة مثل عدد آيات القرآن الكريم والسفياني وغيرها من المسائل في الرسائل التي يذكرها الأستاذ ولا يعرف تفاصيلها القارئ. وأتوقف عند ما ذكرته عندما التقيت بالأستاذ محمد فرنجي مع الأستاذ عابدين رشيد وعندما غلبك الحماس لنشر الرسائل وترجمتها في العالم العربي عندما كان يردد الأستاذ فرنجي . (وجوده في عدمها وعدمه في وجودها) ويكررها أمامك فسألته: ماذا تعني بهذه الكلمات ؟ فقال لك : الذين تقول عنهم لنذهب إليهم يجدون في أنفسهم أنهم علماء فعندما يترجمون الرسائل يمزجون فكرتهم بما يقوله الأستاذ لأنهم يعتقدون أنهم علماء وسعيد النورسي عالم مثلهم وعند ذلك لا تكون ترجمة خالصة للرسائل !! الله... أي ميزان دقيق توزن به هذه الكلمات . وأنا أشعر بأن النفس قد تحجبها عن حقائق النور أمثال هذه الكدورات ! وأنا نفسي عانيت منها.

إن من يقرأ الرسائل سيعيش هذه المشاعر في داخله ولذلك عليه أن يتخلص من (الأنا) ويبحث عن الحقيقة المجردة. فالتجريد مهمٌ ومطلوبٌ لمن يسلك طريق الحق. وإن قراءة الرسائل والصبر على قراءتها كفيل بإزالة الكثير من العقبات في انطلاق الروح في أنوار الرسائل وكما ذكر د. محسن عندما قال لك يا استاذي : يا إحسان إني أرى أن النورسي بعقلية إمام مسجد في قرية نائية ... ولكن عندما قرأ رسالة (اصول في فهم الأحاديث الشريفة) قال : أخي إن هذا عالم يقنع الإنسان بحججه .

كل ذلك موجود عند الباحثين عن الحقيقة. وإن من يبحث عن الحقيقة بتجرد سيصل بتوفيق الله. لأن المحققين يذكرون أن تخليصك يتحقق بتوفيق الله وليس بجهودك. وقد قال الشيخ أبو العباس المرسي : هكذا شأن الصديقين لا يخرجون من شيء حتى يكون الحق سبحانه هو الذي يتولى إخراجهم . فاخرج من اختيارك وارض باختيار الله، فالله تعالى يقول: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾(القصص:٦٨)

لقد جاء كتابكم حلقة مضافة إلى عملكم الجبار في ترجمة الرسائل وأسال الله تعالى أن يدّخرها لكم يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. الناس يا أستاذي وأنا من هؤلاء نبحث عن الظاهر ولا نصبر على الطاعة والقراءة ونستعجل الثمرة، ذكر الأستاذ فرنجي عندما سأله أحدهم : يا أخي محمد أنتم تقولون الأستاذ النورسي صاحب كرامات وأنا صديق حميم له، لم أر منه كرامة !! وهذا سؤال يثار ويتكرر

ومن يصبر على طريق الحق سيشعر بأن أعظم كرامة هي سعادة الانسان مع الله واطمئنانه بالرضى واليقين . قال صلى الله عليه وسلم : إن الله جعل الروح والراحة في الرضا واليقين. وأذكر ما ذكره ابن عجيبه في "ايقاظ الهمم" قصة رجل كان مع أبي يزيد البسطامي ثلاثين سنة لا ينقطع عن مجلسه ولا يفارقه، فقال لأبي يزيد يوما : يا أستاذي أنا منذ ثلاثين سنة أصوم النهار وأقوم الليل ولست أجد في قلبي شيئا من هذا الذي تذكر البتة – يعني الكرامات – فقال له أبو يزيد : لو صليت ثلاث مئة سنة وأنت على ما أراك عليه لا تجد منه ذرة ! قال : فلِم يا أستاذ ؟ قال لأنك محجوب بنفسك ! قال فما الدواء قال تخرج من نفسك . وذكر له أمورا عليه أن يفعلها من إذلال النفس. فقال له : يا أبا يزيد سبحان الله أيقال لمثلي هذا وتحسب أني أفعله ؟

فقال له : قولك سبحان الله شرك ! فقال: وكيف ؟ قال أبو يزيد لأنك عظّمت نفسَك وسبّحتها ! إلى أن قال له : أنا أعلم أنه لا مطمع لعبد فيما حجب عن العامة من أسرار الغيب حتى تموت نفسُه ! فحينئذ تخرق له العوائد وتظهر له الفوائد ....

هذا هو الحجاب بين القرآن وخطاب الله تعالى المتمثل بأنوار الحقائق التي ينشرها المصلحون كما في رسائل النور .

جزاك الله خيرا لقد عززت في داخلي الشوق لإعادة قراءة الرسائل وذكرت بكل تجرد كل من خدم نشر أنوار الرسائل وذكرت أسماء أشخاص ومدنا حتى بدأت أحب كركوك تلك المدينة العريقة لأنها خرجت جيلا من العلماء والباحثين والاعلام في اجواء من المعاناة والمجاهدات . لقد عشت لحظات رائعة وانا اعيش مع ما كتبت من طرائف واعلام وافكار ومراجعات جعلتني ادعو لكم لقد كان كتابكم وثيقة مهمة للتاريخ وقد أبرأت فيه ذمتك وذكرت ما دونت بأمانة وتوفيق ودونت فيها معلومات رائعة يحتاج إليها كل من تابع رسائل النور وتلك الدعوة المباركة. وأنا كلما أقرأ في الرسائل أشعر بأن هذه الرسائل جاءت إلينا عن طريق كنتَ أحد أعمدتها في ترجمتها إلى العربية. سدد الله خطاكم ونفع بكم وبارك في عمرك وجزاكم الله خير الجزاء عن القرآن الكريم ورسائل النور والأستاذ النورسي رحمه الله تعالى .

تلميذكم الذي تشرف بدراسة عن الرسائل على يديكم ويرجو دعاءكم

د. رعد شمس الدين الكيلاني

بغداد – ١٠/ ٤ /٢٠١٨